رسالة تعزية لمريض

القمص لوقا سيداروس

رسالة تعزية لمريض

القمص لوقا سيداروس

اســـم الكتـــاب: رسالة تعزية لمريض.

اســـم المؤلـــف: القمص لوقا سيداروس.

الناشـــــــــر: مكتبة كنيسة الشهيد مارجرجس ـ سبورتنج.

فصل ألوان وطباعة:

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.

موبايل: ٠١٢ ٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢

قداســة البابــا شــنوده الثالــث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

بِاسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين.

مقدمة

في العام الماضي تركت أحد أحبائي في الإسكندرية مريضًا وهو خادم حبيب إلى نفسي جدًا وتربطنا به علاقة خدمة وعِشرة في المسيح إلى أيام كثيرة ترجع إلى أكثر من خمسة وثلاثين عامًا.

وكنت متأثرًا جدًا إذ رأيته في مرض الجسد وفي ضعفه... فلمَّا ركبت الطائرة عائدًا إلى لوس أنجلوس، رأيت أن أكتب له خطابات تعزية لا سيما وهو إنسان الله وخادمه.

وكنت أظن أني سأكتب صفحة أو اثنتين، ولكن وجدت نفسي مدفوعًا لأكتب أكثر ... فلمَّا فرغت مما كتبت وجدت أنه ربما يكون هذا نافعًا لكل المرضى، فكلهم أحباء وكلهم أعضاء جسد المسيح الواحد الحي، بغض النظر عن الزمان والمكان وبغض النظر عن معرفتنا المحدودة. فصرت وأنا أكتب - متمثلاً صديقي الخادم المحبوب – أرى في شخصه كل مريض بذات المشاعر الروحية والمحبة الصادقة النابعة من المسيح فينا والعاملة لحساب الملكوت.

لذلك وجدت من النافع أن تُطبَع هذه السطور لعلّ أي من

الأحباء في أي مكان أو في أي زمان يجد فيها تعزية وسلامًا في مرضه.

ولعلّ هذه الكلمات تصير مُعينة للخُدام أيضًا في أثناء زيارتهم لإخوتهم المُجرَّبين والمرضى والمتألمين.

ونحن نثق بالرب أنه بقليل وبكثير يستطيع أن يعمل فينا وبنا وأنه يجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبونه.

القمص لوقا سيداروس

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

أخي الحبيب في المسيح يسوع ربنا.

سلام من رب السلام ومحبة بإيمان في شخص الذي أحبنا فضلاً.

عشمي في المسيح أن تكون في ملء النعمة وفيض التعزيات. إذ قد تركتك مريضًا وملازمًا الفراش. ولم يتهيأ لي أن أكون معك وقتًا أكثر، فقد وجدت أن أكتب إليك – بنعمة المسيح – لنتعزى بإيماننا المشترك.

وقد وجدتها فرصة سانحة أثناء سفري بالطائرة من الإسكندرية إلى لوس أنجلوس، فاختليت بنفسي وكأني جالس إلى جوار فراشك نتحدث معًا بأعمال الله وعجائبه ونسترجع كم صنع الرب بنا وكم عمل معنا.

لا شك أن ما تعلمناه من الآباء هو نافع لنفوسنا ... وهو أن نشكر الله على كل حال وفي سائر الأحوال، لأننا نثق بمحبته لنا وأن يده الصالحة تستطيع أن تحوِّل كل شيء وتجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير. فشكرًا لله على محبته التي لا يُعبَّر عنها.

وأنت تعلم - كإنسان الله - المختار والمحبوب من الرب، أنه وإن كانت أمراض الجسد عمومية على جميع جنس البشر إلا أننا لسنا لأنفسنا بعد ... بل هو اشترانا واختارنا وولدنا ثانية ودعانا لمجده الأبدي. فنحن ملكه، ولسنا لأنفسنا فيما بعد وبحسب كلام القديس

بولس الرسول: **" ليس أحد مِنَّا يعيش لذاته، ... إن عشنا فللرب نعيش "**. (رو ١٤: ٧-٨).

إذًا ما أحياه الآن، أحياه في الإيمان. إيمان الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. فإن كنا نحيا في الجسد بعد، ولكن لسنا بحسب الجسد نُحارَب.

من أجل ذلك تُحسَب أمراضنا كأنها ضمن خطة محصاة، وشعور رؤوسنا واحدة منها لا تسقط دون إذن أبينا.

أذكر أن "تاسوني أنجيل" زوجة أبينا المتنيح القمص بيشوى كامل لمَّا رأت شعره يسقط بسبب الأدوية، كانت حزينة ومتألمة، فكان يقول لها مبتسمًا "ألا تعلمين أن كل شعرة من دول واخدة إذن من الله ولم تسقط من نفسها".

هكذا يكون الإيمان وهكذا نحسب أن أوجاعنا وما نتعرض له من شتى الآلام أو الأمراض لا يأتينا مصادفة، ولا جُزافًا. بل نقبله من يد الذي أحبنا وتألم عنا. مادُمنا لم نجلب على أنفسنا الأمراض بسوء تصرفنا أو انحراف مسلكنا كأهل العالم. فلنسلم إذًا نفوسنا ببساطة كما لخالق أمين في عمل الخير.

وهكذا يبدو واضحًا الفرق بين سلوك أولاد الله وبين أهل العالم إذا ما جازوا في ذات التجربة الواحدة ... فواحد يشكر ويمجد الله ويقبل كل شيء عالمًا أن هذا الأمر من يد الله للخير والخلاص، وآخر يتذمَّر أو ينحصر في الجسد وآلامه ويسقط في أمراض الخوف واليأس بل وربما يوّد لو ينهي حياته عِوَض التألم الذي لا

طائل من ورائه.

على هذا يصير المرض -بالنسبة لنا - اختبارًا للإيمان وتزكية ودافعًا لأمور كثيرة نافعة لحياتنا.

مجد اللَّه

****

قال ربنا يسوع لتلاميذه عندما كلّمهم عن مرض لعازر حبيبه: **"هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مَجْدِ اللَّـه"** (يو ١١ : ٤) ... إذاً لا بد أن تتركز في ذهننا كلمات الرب، لأنه لم يقل هذا عن لعازر فقط ... بل أن كل ما كُتب كُتب لأجلنا ... فهو مكتوب بالحق لأجل تعزيتنا وخلاصنا.

فإن سألني أحد عن مرضي لا بد أن تكون قناعتي الداخلية تجيب قائلة: "أنه لمجد اللَّه". ولكن يبدو هذا الكلام غريبًا في نظر الناس ... كيف يكون المرض الذي هو الضعف أو الآلام ... لمجد اللَّه؟

وهذا يتحقق فقط إن كنا ننحاز إلى اللَّه بكل كياننا ونحيا المسيح كما يجب أن نحياه، فلم يَعُدْ شيء في حياتنا لا يُمجِّد اللَّه. "فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، افعلوا كل شيء لمجد اللَّه". اللَّه قادر أن يتمجَّد في ضعفنا ... بل إنه ممجد في الضعف أكثر من القوة ... لأن قوته تَكمل في ضعفنا أو مرضنا... فلنكن كاملين في فكر واحد: إننا له وبه نحيا ونتحرك ونوجد.

ألم يتمجَّد اللَّه في جراحات الشهداء وآلامهم التي آلت إلى مجدهم الأبدي ومجد المسيح فيهم؟

ألـم تصـر أجسـادهم الممزقـة مُكرَّمـة عنـد الكنيسـة إلـى كـل العصور. بل صارت مصدر شفاء وعزاء للأجيال؟

هكذا فليتعمَّق فينا هذا الفكر أن أمراضنا بكل تأكيد لحساب مجد المسيح. "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى هيكل الله"؟

منـذ أن تدشـنت أجسـادنا كمسـكن للـروح، وخُتمنـا بـروح الوعـد القدوس ... صارت آنية كرامة كقول الرسول ... هى بالحق أوانٍ خزفية قابلة للكسر والضعف، ولكنها تحمل كنز روح الله القدوس.

أجسادنا مُكرَّمة ليس بحسب طبيعتها التي وُلِدَتْ فيها من اللحم والدم لأن الطبيعة سقطت منذ الأيام الأولى، وفي آدم مات الجميع دخل الموت إلى جميع الناس، ولكن لمَّا صرنا في آدم الثاني، ولبسنا الجديد، صارت أجسادنا هيكلاً للروح مؤهلة أن تتجدد يوم بعد يوم إلى أن تقوم في غير فساد لتظهر في مجد وفي كرامة. هى الآن – كزرع البشر – مزروعة في فساد وتتعرض له بحسب طبيعتها، ومزروعة في ضعف ومزروعة في هوان ولكن حين تُقام، ستُقام على صورة جسد المسيح حيث لا فساد ولا هوان ولا ضعف ... بل مجد ونور كرامة.

لأن أجسادنا ستُكرّم إذ قد خضعت لأرواحنا المتجددة بالميلاد الـذي مـن فـوق ومتطهـرة بـدم المسـيح وحـائزة علـى عربـون القيامة.

فإنساننا الداخلي هو إنسان القيامة.

هو زرع الله الذي لا يُخطئ.

هو الخليقة الجديدة بالقيامة.

ولأن أجسادنا متحدة بأرواحنا، ولأننا نسلك بالروح ونُميت أعمال الجسد ... سنحيا ونُقام في غير فساد وهذا هو عزاؤنا. ننظر إلى أجسادنا وقد صارت مريضة ونتعزّى بقول الرسول: **"إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدَّد يومًا فيومًا"** (٢كو ٤: ١٦).

مسيحنا طيب ولا ينسى تعب المحبة. أليست أجسادنا هذه هى التي قدمناها ذبيحة حية مرضية مقدسة: عبادتنا العقلية؟

أليس هذا الجسد هو الذي تقدّس بالأصوام والنسك لحساب المسيح عازفًا عن الشهوات؟

أليس هذا الجسد هو الذي سهر في الصلوات مُعانًا بالروح ومؤازرًا بالنعمة.

أليس هذا الجسد — في حياة القديس بولس — هو الذي هام جائعًا عطشانًا مُعرّى، وكان يُلكم وليس له إقامة؟ كل هذا من أجل اسم المسيح ... واحتمل أتعابًا وجراحات وضربات سياط وأخطار من كل نوع ... حتى الموت بحد السيف.

ألا يستحق أن يظهر هذا الجسد في كرامة في يوم ربنا يسوع؟ أمين هو الله ... إن جراحات القديسين ودم الشهداء ونسك الآباء سوف يظهر في مجد ما لا تراه العين وما لم تسمع به الأذن.

من أجل ذلك نحسب أن ضعف جسدنا – طالما هو خاضع

وخادم لأرواحنا في المسيح لحساب ملكوت الله – نحسب أن آلامه تتحوَّل إلى مجد وإلى كرامة الجسد بعينه في يوم أن نقف أمام الرب بلا عيب في الابتهاج.

آيـات الـشـفـاء

++++++++++++++++++++

إن ما كتبه الآباء والإنجيليون عن آيات الشفاء التي صنعها ربنا يسوع شيء لا يمكن أن يقع تحت الحصر ... لأنه كان يجول يصنع خيرًا ويشفي كل مرض وكل وجع في الشعب ووقع عليه ليلمسه كل من فيه داء وجميع الذين لمسوه برئوا.

لقد فاض حنان المسيح الشفوق معطيًا شفاءً من الأوجاع وراحةً لجميع التعابى ... ومن يستطيع أن يصف يومًا واحدًا؟ على إنني كلما تأملت في بعض آيات الشفاء الفردية التي أفرد لها الإنجيليون مكانًا خاصًا وذكروها بتفاصيل حسب إلهام الروح ... أقول كلما اقتربت من هؤلاء، أشعر أن هناك أسرارًا خاصة بكل نفس على حدة لا يعرفها سوى فاحص القلوب والناظر إلى نيات الناس ومميز أفكارها.

فهؤلاء الذين اختصهم الرب بهذا النصيب العجيب يجب أن نتوقف قليلاً عندهم لنُدرِك شيئًا من النعم التي أُفيضت عليهم كأمثلة وعينات يُحذى حذوها ويُنسج على منوالها.

فذاك الأعقد الأصم الذي ذكره القديس مرقس في إنجيله هذا حمل المسيح مرضه ... وضع يده في أذنيه، وجعل من ريقه الخاص على لسان المريض ونظر الرب إلى السماء وتوجّع بأنين

وقال للرجل: انفتح فانفتح، فحمل المسيح الوجع وتوجَّع به إذ حمل أمراضنا بالحقيقة وبلا رمز أو تشبيه.

محظوظ ذلك الإنسان الذي حاز هذا الوضع الخاص والفريد، بل محظوظ كل من ينال في المسيح هذه العناية ولمسات اليد وريق الفم.

بل محظوظ كل من دُعيَ عليه اسم المسيح وصار محسوبًا ليس مريضًا في طريق المسيح بل عضوًا في جسده حتى لو تألم أو توجّع.

أيضًا يأخذني العجب عندما أتأمل مريض بيت حسدا ... أنه حتى بعد أن شُفيَ مَنْ مرضه العِضال الذي دام ٣٨ سنة وأقعده عن الحركة ... لم يكن يعلم من هو يسوع. فهو حاز على نعمة لم يطلب مجرد الطلب أن ينالها، بل لقد فقد الدافع للطلب ... فإن كان مسيحنا هو مسيح الفيض حتى على غير العارفين فكم تكون نعمته على مختاريه وأحبائه العابدين والصارخين إليه نهارًا وليلاً؟

وإن كان مريض بيت حسدا أخذ نعمةً لشفاء الجسد وصحة البدن لحمل سريره، إذًا ما هى النعمة التي يمنحها المسيح لأهل الروح وأبناء الروح، وورثة الملكوت؟

فإن كانت لحساب الجسد فقط صرنا أشقى جميع الناس... لأننا نكون ونحن في الروح نطلب ما هو للجسد فقط! بل لتكن عطايا الروح التي ننالها في المسيح هى التي تعمل فينا لحمل أوجاع الجسد وتكون تعزيتنا في الروح في الإنسان الباطن هى

سندنا الوحيد في حالة مرض الجسد وضعفه "أما الجسد فضعيف وأما الروح فنشيط".

أما ما صنعه الرب مع حماة سمعان، لمَّا كانت محمومة مريضة فوقف فوقًا منها وزجر الحمى فتركتها، فقامت للحال تخدم المسيح وكنيسته ... فهذا هو حق نصيبنا في المسيح الذي يلازم فراش مرضنا واقفًا وبسلطانه يزجر روح المرض كما نقول في أوشية المرضى "روح الأمراض أطرده".

فحتى إذا سمح الرب لأجسادنا بالمرض، فنحن لنا ثقة بالمسيح أنه بكلمة يزجر روح المرض الذي يستغل ضعف الجسد لينتصب لمقاتلتنا ... فتزول عنا الأفكار والهواجس التي طالما تُصاحِب مرض الجسد، ولا سيما إذا كانت أمراض تُعَدّ بالنسبة للجسد مُهدِّدَة وخطيرة.

قصة بولس الرسول مع المرض

كان بحسب فكر الناس – هو أول المستحقين للشفاء أليس هو حبيب المسيح ومختاره؟ والرسول والكارز بِاسمه؟ فلمَّا جاز فيه فكر الناس بحسب المثل القائل: "أيها الطبيب اشفِ نفسك"، طلب إلى الله بسؤال الصلاة متضرعًا أن يشفيه من الشوكة التي كان قد أُعطيها في جسده كعطية وموهبة وهو لا يعلم.

فكان جواب الرب شافيًا ووافيًا: "تكفيك نعمتي" وصار فيما بعد، إذ عرف سر الله وأدرك صالح مشيئته يقول: " **أُسَرّ بالضعفات** " بل قال أيضًا: "**لأني بضعف الجسد بشرتكم**".

بل صار المؤمنون يُمجِّدون جسده صاحب الشوكة ... وشهد لهم أنهم كانوا يقبلونه لا كإنسان بل كملاك الله ... فصارت شوكته عِلة تمجيد أكثر، وشكر أكثر، وشهادة وتزكية للإيمان لحساب الذي يخدمه.

وقد ثبت في ضمير الكنيسة منذ ذلك الحين أن المرض في حياة أولاد الله ليس معناه تخلِّي الله بأي حال من الأحوال ... بل صار مرض القديس بولس شاهدًا للجميع أن الذين يتألمون بحسب مشيئة الله يستودعون أنفسهم في يديه كخالق أمين في عمل الخير، إذ قد تحوّل المرض إلى خير ولم يكن عائقًا لعمل الروح، بل على العكس صار علامةً أن الله هو العامل فينا وأنه ليس بقوة

ذراع البشر تصير خدمة النفوس للحياة الأبدية. بل من حيث أن التعبير الرسولي عن شوكة جسده جاء هكذا: "أُعطيت شوكة". مُعبِّرًا عن أنها عطية من الله ... فقد شجب كل معنى للتذمُّر أو عدم الشكر في المرض. فشكرًا لله على عطيته التي لا يُعبَّر عنها.

وعلى منوال القديس بولس جاءت حياة القديسين والشهداء الذين قبلوا الآلام بفرح حاسبين أنفسهم أنهم غير مؤهلين أن ينالوا هذا الشرف ... فلم تعفهم آلام الجسد ولا المرض عن خدمة مُخلِّصهم، بل سعوا في طريق الآلام معتازين مكروبين مُذلّين مُضطهَدين. عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة ... كأنهم أحبوا الآلام محبة في الذي تألم عنا.

أما أن آلامنا ستتحول إلى مجد، فهذا رصيد القديسين المحفوظ لهم في السموات "هنا صبر القديسين" ... فإن كان بآلام جسدنا يكمل صبرنا فمن الذي يتذمَّر؟ وإن كنتم سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب. فطوبى للرجل الذي يصبر في التجربة، لأنه متى تزكّى ينال إكليل الحياة.

فلم تكن تجربة المرض بحال من الأحوال سوى تزكية لإيمان وقوة الصبر والاحتمال لا على مستوى الاحتمال الجسداني للآلام - لأن هذه تعملها الأدوية المُسكّنة – بل على مستوى زيادة رصيد الإنسان من الثمر الروحي الذي يتحصّل عليه وهو قابل كل شيء بشكر ورضى، ومؤدبًا نفسه بأدب الروح، متربيًا تحت عصا تأديب حب الله الآب "لأن أي ابن لا يؤدِّبه أبوه ... الذي يحبه الرب

يؤدّبه".

فالأمر إذاً يجب أن نحسبه تأديبًا لا تخليًا من الله أو غضبًا أو عقابًا ... لأن قلب الله من نحونا يخلو من كل هذه المعاني السلبية المخيفة والخالية من الإيمان أو التصوّر الحقيقي لعلاقتنا بالله كأولاد أحباء.

المرض والصلاة:

ألا تحسب معي يا أخي أن الرب في حال مرضنا وعدم قدرتنا على ممارسة الأعمال الجسدية المعتادة، ألا تعتقد معي أنها دعوة من الله لكي نترك كل شيء — ولو مؤقتًا – لكي نتفرغ للجلوس معه؟

وإن كان الأمر كذلك فهذا معناه أنه بينما ارتبكنا بأمور وخِدم كثيرة – والحاجة الحقيقية هى إلى الواحد – فبينما نحن على هذه الحال، وإذ بالرب الحنون يقول: "أُترك الكل، وهَلُمَّ إلى الواحد... إنه تمتُّع بالنصيب الصالح الذي لن يُنزع منا.

ولكن للأسف فإنه في أمراضنا تشغلنا أمور كثيرة جدًا ... وكلها تدور في دائرة الجسد وتفاصيل التفاصيل في علاجه والارتباك بأحواله. إننا لا نهمل علاج أجسادنا بل نعول الجسد ونُربيه كقول الرسول ... ولكن لماذا لا يتحول وقت المرض لحساب أرواحنا وتكميل توبتنا؟

أذكر أن أبونا بيشوى كان يقول لي بكل الجديّة: هل

تعلم لماذا أعطاني الرب هذا المرض؟ وكنت أقوله له: لماذا؟ فكان يقول: إن ربنا بعث لي هذا المرض لكي أكمل توبتي ... لأن الكاهن لازم يكون إنسان تائب، لكي يقدر أن يقود التائبين... وكنت أتعجّب من هذا الفهم الروحي الفائق.

لذلك أودّ أيها الأخ الحبيب أن تزداد في الصلاة على قدر ما يسمح لك الرب من الوقت الذي فيه تخف آلام الجسد ... بل وفي الآلام كان اسم يسوع لا يفارق فم أبونا بيشوى وفكره ... وكانت آلامه مع الصلاة أشبه ببستان جثسيماني الذي جازه الرب من أجل كل واحد فينا.

ما أعذب الصلاة ... وما أصدقها عندما نصلي ونحن في ضغطة الآلام حين تكون النفس مُرهفة الحساسية وحيث يفيض الروح تعزياته، ويسكبها داخل النفس كسكيب الطيب على جسد المسيح قبل الصليب.

قبول الآلام يحسب مضاعفًا:

أذكر أننا كنا نتكلم في مثل هذه الأمور مع أبينا بيشوى وكيف يتحول الشكر وقبول الآلام في حياة أولاد الله إلى عمق العلاقة بالمسيح وأنه تمجّد اسمه ينظر إلى شركة آلام أولاده في جسدهم باعتبار عظيم.

كانت المناسبة أن أحد أولادنا بالكنيسة وكان يعمل بأحد

المصانع قد تعرّض لحادث مروع، إذ انحشر ذراعه في إحدى الماكينات وانتهى الأمر ببتر الذراع، وكان هذا الأخ شابًا في مقتبل العمر. ولما زرناه في المستشفى أعطاه أبونا شحنة رهيبة من الإيمان والشكر وتمجيد الله، حتى أنه قال له: إن شكرك في مثل هذا الظرف يحول الأمر وكأنك قدمت ذراعك بإرادتك ذبيحة للمسيح مثل الشهداء. يومها تعجبت جدًا وأدركت صلاح المسيح وأن الشكر والرضى بالفعل يلغي كل الآثار السلبية للآلام.

فقبول الحرمان برضى يلغي معنى الحرمان ... لأن الذي يعذب النفس هو طلب النفس للشيء المفقود ... فالذين قبلوا الفقر باختيار ورضى من أجل الله لم يؤذهم الفقر. والذين قبلوا حياة البتولية بكامل القبول والرضى من أجل الله لم يؤذهم الحرمان من الزواج ... بل على العكس فإن التصاقهم بالله ملأ عليهم الحياة بأفراح الاتحاد والعِشرة الحقيقية مع الله. وهكذا فإن الرضى بآلام المرض يحسب كأننا نقدم أجسادنا ذبيحة حية مرضية لدى الله.

بركات المرض:

ما لا نستطيع أن ندركه بالجهاد الإرادي في الحياة الروحية بسبب قصور طبيعتنا، فإن نعمة المسيح المُكملة لنقصنا تجعل من فرصة المرض الجسدي مجالاً لتكميل العمل الإلهي فينا.

فالمرض يخفض من حدة الذات وكبريائها والاعتداد الذي

نعاني منه، بل أن الذات هى ألد أعداء الحياة الروحية وهى تمثل أكبر عقبة في سبيل النمو الروحي ... فحينما يصيب الإنسان شيئًا من قوة البدن أو الصحة أو العنفوان في شبابه، فإن الذات تتخذ من هذا قاعدة للتفاخر والتعالي والاعتداد، من أجل ذلك يصير المرض من أجل نفعنا ومصلحتنا.

إنني أعرف ذاتي على حقيقتها وبدون تزييف ... آه كم أنا ضعيف. أنا، ما أنا!

بل إن المُرنم يقول للرب: "عرّفني كم أنا زائل. كم هى الأيام في غربتي".

وهن الجسد يحطّ من كبرياء الذّات ... فتطلب الاتكال على الله "لا يسر الرب بقوة الفرس ولا بساقي الرجل ... يسر الرب بخائفيه" ... هذا هو سرور النعمة حينما نخلي الاتكال على الذات ونجحدها، نتيقن ضعفنا وحقارة طبيعتنا.

ونحن في مرضنا نحتاج إلى من يساعدنا، من يخدمنا من يأخذ بيدنا ... أحيانًا يحتاج الإنسان إلى من يعتني به في الحاجات الضرورية، وأحيانًا يسمح الله أن نتخلى حتى عن الخصوصية أو... الخ. وهذا يعطي فرصة لاتضاع أكثر وتزيين النفس بهذه الزينة التي لا نستطيع أن نبلغها بكثرة الجهاد ... إذ يضع الإنسان نفسه - رغمًا عنه أحيانًا – في أيدي الناس كما قيل "سلمنا ... فصرنا نُحمَل".

لمَّا كنا أكثر حداثة كنا نُمنطِق ذواتنا، ونمضي حيثما شئنا، إذ

كانت الإرادة والمشيئة الذاتية حاضرة وقوية ... ولكن عندما نشيخ، فإن آخر يمنطقنا ويذهب بنا حيث لا نشاء.

هذا الآخر هو الروح القدس الذي يسندنا بيده ويذهب بنا حيث يشاء هو ... حتى إلى الجلجثة ... هنا تجثو مشيئتنا الذاتية وتختفي سطوة الذات التي دوّختنا مدى الحياة. فإذ كان الأمر كذلك، فأي شكر يجب أن نقدمه للّه من أجل نوال هذه النعمة، ألا ترى معي أن المسيح يُجمّل حياتنا بهذه النعمة. وبينما أهل العالم يتأزمون من هذه الأمور وتصير نفسياتهم ومعنوياتهم في التراب ... إذ يشعرون بانكسار الذات والمذلة ويعانون من أمراض نفسية ... فعلى النقيض يصير ضعف الجسد بالنسبة لأولاد الله مصدر بركة وعِلة اتضاع بالأكثر ويقبلون بشكر كل ما تصنعه يد الله القدير فيهم وبلا مقاومة أو اعتراض.

اكتشاف أباطيل العالم

من بركات المرض التي تُعَدّ عظيمة جدًا، أننا في حال مرضنا تعزف نفوسنا عن الملذات الجسدية، فملاذ الأكل والشرب تفقد جاذبيتها ... هوذا الطعام صار ثقيلاً على النفس، بل بكل مشقة يستطيع الإنسان أن ينال شيئًا من الطعام... مجرد أن تتأمل النفس بعمق في هذا الأمر الذي راح ضحيته ملايين البشر الذين أغواهم العدو بالشره في ملاذ الأكل والشُّرب حتى قال الوحي الإلهي "آلهتهم بطونهم" وكم من خطايا تولَّدت من الإغراق في ملاذ الطعام الجسدي!

قال الرب عن الشوك الخانق للكلمة: هَمّ العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء تخنق الكلمة فتصير بلا ثمر. وأوصانا أن نسهر لئلا تثقل قلوبنا بخمار العالم وتخمته وقال: **"اعـــمَلوا لا للطعام البائِد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية"** (يو٦ : ٢٧).

فنحن إذ نرى الطعام البائد على حقيقته ونحن في حال مرضنا فإننا نتغذى بالطعام الباقي للحياة الأبدية ... نطلبه، ونجوع إليه، إذ فقدنا وقتيًا شهوة الطعام الدنيا .. فجدير بنا أن نجوع ونعطش إلى البر وأعمال البر ونجد في المائدة السمائية خبز الحياة الأبدية النازل من السماء. نجد فيه شبع، سرور ونتناول منه بشكر، فتمتلئ قلوبنا فرحًا ونتهلل بالسُبح والتمجيد.

وليس فقط عزوف نفوسنا عن الأكل ... بل إن العالم كله يفقد رونقه الكاذب في أعيننا ونحن في فراش المرض ... أين شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة بالنسبة لمريض ملازم فراش المرض؟

كل ما في العالم يصير باطلاً في أعيننا، وبلا طعم. إننا في حال مرضنا لا نحتاج إلى وعظ وكثرة كلام ولا نحتاج إلى من يقنعنا بزوال أباطيل العالم.

مرض الجسد هو أكبر عظة إن كنا نأخذها مأخذ الجَدِّ ... وإن كنا بالروح ندرك القصد الإلهي من المرض. فإن استوعبنا هذا الدرس صارت حياتنا فيما بعد تشهد لذلك ... إذ نسلك بحسب هذه الخبرة التي نلناها.

إن ما توصِلنا إليه النعمة في أثناء المرض من إدراك زوال العالم وأباطيله يجب أن يكون قاعدة للتصرفات ويجب أن لا يغيب عن ذهننا ما حيينا. فإن اكتشفنا زيف هذه الأمور، فهل نعود ننخدع بها؟

هل يستطيع العدو أن يزينها لنا لتجذبنا؟ لقد سقط العالم من أن يكون جذابًا. لقد انطفأ مجد العالم، وشهوته الغبية وغناه التافه .. هذه نعمة متى حصلنا عليها يجب أن نحفظها لئلا نفقدها... كم من مرة حصلنا على نِعَمٍ وفقدناها؟ إننا ننسى كثيرًا ... بل وننسى سريعًا.

⌖ إننا نقول دائمًا ونعلِّم عن الحياة الأبدية، وأننا غرباء ونزلاء في هذا العالم وأن هيئة هذا العالم تزول. وأن أيام الإنسان على الأرض قليلة ...هذا الكلام يدركه الإنسان إدراكًا عقليًا، كلام نظري ... أما في حال مرضنا هل توجد حقيقة أكثر وضوحًا من هذه الحقيقة؟

إن الحياة الزمنية مهددة ... حياتنا في الجسد موقوتة بوقت أما حياتنا الأبدية فلا نهاية لها وغير خاضعة للزمن.

⌖ ونحن في الجسد نحن مغتربون عن الرب ... لأننا نسلك بالإيمان والتصديق القلبي بينما الرؤية فكما في مرآة أو كما في لغز.

⌖ الجسد يعوقنا عن الرؤية الحقيقية للأمور السماوية.

⌖ ما أسعدنا بالحياة الأبدية ... حياتنا هى المسيح نفسه.

⌖ لي الحياة هى المسيح.

⌖ نحن نتلامس مع الحياة الأبدية ونحن في حال مرضنا وضعف أجسادنا ... نتلامس تلامس حقيقي لا جدال فيه.

⌖ لا نضع ثقتنا في الجسد ولا في الحياة في الجسد، بل نضع كل ثقتنا في الحياة الأبدية.

المرض فرصة لمراجعة النفس:

في معظم الأحيان يخفي الأطباء عن المريض حقيقة مرضه شفقةً به وخوفًا على نفسيته، وهكذا يعمل الأهل والأحباء، بينما في

بـلاد الغـرب فـإن الأطبـاء يُطلعـون المـريض نفسـه علـى تفاصـيل مرضه مهما كان الأمر ويبصِّرونه بحاله ولا يَخفون عنه شيئًا على الإطلاق.

وقد عشت هذا الأمر وعلمت خطورة إخفاء الحقيقة أو طمسها بعلة طمأنة المريض، فقد كان أبونا بيشوى في أيام مرضه يحرص أن يعرف كل شيء، وقد حاول أحد أبنائه الأطباء أن يخفي عنه حقيقة الأمر أو يخفف من واقع المرض، فانتهره أبونا بشدة وحزم قائلاً: هذا الأمر يخص حياتي أنا وليس من سلطان أحد أن يخفي عني شيئًا!

وكان يقول: إن المرض الخطير الذي يُعرف صاحبه نهايته هو نعمة من الله، لأنه يعطي فرصة للإنسان أن يراجع نفسه فلا يؤخذ على غُرّة فجأة، فيجد نفسه في لحظة يترك العالم دون أن يستعد لذلك الاستعداد الكافي ... فالمرض فرصة لتوبة نادرة، ممكن أن يعمل فيها الإنسان عملاً خطيرًا ويتصالح مع الله والناس ... ينقّي قلبه وضميره ويعترف بندم، ويطلب مراحم الله.

الكنيسة والصلاة من أجل المرضى:

الكنيسة لا تكُف عن التضرُّع إلى الله من أجل المرضى ... في باكر كل صباح تُقال أوشية المرضى ... نطلب إلى الله أن يتعهدهم بالمراحم والرأفات، وبالذات من أجل الذين أبطأوا مطروحين في الأمراض أن يقيمهم الرب من فراش مرضهم

ويعزيهم ... والكنيسة تلتجئ إلى عريسها الرب يسوع طبيب أرواحنا وأجسادنا، شافي الأوجاع من النفس والجسد كليهما. وفي آخر أوشية المرضى يطلب الكاهن ليس عن مرض الجسد ولكن يقول: "ونحن أيضًا يارب أمراض نفوسنا اشفها".

فهو يقول ليس فقط مرض الجسد، ولكن بالأولى كثيرًا أمراض نفوسنا تحتاج إلى لمسة يد المسيح الحانية لأنه هو "شمس البر والشفاء في أجنحتها".

وقد رتبت الكنيسة أحد أسرارها الذي يعمل فيه الروح القدس على مستوى سري إلهي ... وهو سر مسحة المرضى، حين يعترف المريض بخطاياه، وإن كان قد فعل خطية تُغفَر له، وحين يمسحه قسوس الكنيسة بالزيت "وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه".

والحق أقول لك أيها العزيز إننا أهملنا تمتُّعنا بهذا السر... فنحن في أمراضنا ننساه أو نتناساه وأول ما يخطر على بالنا هو الالتجاء إلى الطبيب والأدوية، ولا أقول ذلك استخفافًا بالطب والدواء ولا إنقاصًا منه بل على العكس فالرب قال: "**لا يحتاج الأصِحَّاء إلى طبيب بل المَرضى**" (مت ٩: ١٢). والأطباء في كل جيل يعملون عمل الله ويخففون آلام البشر، وعملهم مقدس ونافع وبدونهم يختل توازن العالم. ولكنني أقصد الالتجاء الإيماني للحصول على قوة سر مسحة المرضى والنعمة والغفران وقوة الشفاء الكائنة فيه ... كلمسة المسيح للمرضى كيف كانت تزيل

عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة.

فنحن كأولاد الله لنا إيمان، وحسب إيماننا يكون لنا ... هل ننسى المرأة نازفة الدم التي لمست هدب ثوبه فوقف نزيف دمها وقال لها "ثقي يا ابنة إيمانك قد شفاك".

فلنحرص أيها الحبيب أن ننال من هذه النِّعم المُذخَّرة لنا... فقد رأيت في حياتي عجائب لا أقدر أن أحصرها، نالت فيها نفوس البرء من أمراض مستعصية ببركة هذا السر الإلهي.

أمثلة معزية:

من الأمثلة المعزية التي أشهد أنها نالت نعمة وإكليل الشكر في المرض، المتنيح القمص مينا إسكندر... فقد أُصيب بجلطة في المخ نتج عنها شلل نصفي أصاب يده ورجله ولسانه فكان يمشي بصعوبة ويتكلم بصعوبة شديدة ... كلماته تكاد لا تكون مفهومة، وقد كان يصر أن يذهب إلى الكنيسة في القداسات والعشيات وأن يشترك في الصلاة ... كانت روحه أقوى من أن يمنعها جسد مريض، ظلّ على هذه الحالة قرابة سنة، ثم أُصيب بجلطة أخرى، أتت على النصف الآخر من الجسد، فصار مشلولاً شللاً كاملاً من كل الأطراف، فكان يُحمَل من السرير إلى الكرسي، وكان لا يقدر أن يحرك شيئًا فكانوا يقومون له بكل حاجات الجسد من أكل وشرب وخلافه، وأصبح لسانه ثقيلاً وصارت كلماته تُفهم بصعوبة

شديدة.

ومع كل هذا عيناه في قوتها وذهنه متوقد مدرك ما يدور حوله وما يسمعه ممن حوله، يستوعب استيعابًا كاملاً كأنه في كامل صحته.

كان أبونا مينا رجلاً محبًا ومحبوبًا، نشيطًا غاية النشاط، سريع الحركة في خدمته، باذلاً ذاته مكرسًا وقته وجهده ... فلما مرض، صار الآباء الكهنة أحباؤه يزورونه بطريقة مكثفة. يكاد لا يخلو بيته من كاهن سواء في ساعات النهار أو الليل، علاوة على أولاده ومريديه من الشعب المخلص المحب للمسيح. وكان مرضه في البداية مؤثرًا جدًا أحدث رنة حزن في كل أوساط الكنيسة في الإسكندرية.

والأمر الذي يُتعجب منه أن النعمة أعطت أبونا مينا في مرضه – الذي دام نحو ١٥ سنة - أعطته صبرًا عجيبًا وتسليمًا كاملاً وشكرًا قائمًا، حتى صار وجهه كوجه ملاك وبلا مبالغة، فلم يره أحد من زائريه في يوم من الأيام وعلى مدى السنين الكثيرة ورغم قسوة المرض والشلل الكامل وما يتبعه من أتعاب جسدية ونفسية مريرة، لم يره أحد في يوم من الأيام شاكيًا أو متذمرًا، أو باكيًا، أو حزينًا أو بائسًا ... بل على العكس تمامًا كان كل من يدخل إليه يتعزى فوجهه دائمًا مشرق تعلوه ابتسامة عجيبة لا تفارقه!

وكان كل من يسأله، كيف حالك؟ يقول: أشكر الله ... يقولها

بطريقة مؤثرة عجيبة، فالإنسان لا يقوى على الحبس لمدة أيام، بعدها تتمرر نفسه ويضيق صدره وتكره نفسه الفراش. وهذا البار له سنين ملازمًا للفراش، ولكن النعمة كانت تسنده وتعزي نفسه.

كان قد سمع في سبتمبر سنة ١٩٨١ عن الأخبار التي اجتازتها الكنيسة في ذلك الوقت ... حاول الذين حوله أن يخففوا من وقع هذه الأخبار عن نفسه، يكفيه ما يعانيه، فكانوا لا يخبرونه بكل ما يحدث ولكنه علم بالقبض على الآباء وإيداعهم السجن فتأثر جدًا يومها رغم وهن جسده، فاضت عيناه بالدموع .. وقد علمت ذلك، فبادرت بزيارته بعدما أطلقوا سراحنا ... دخلت إليه، وحالما رفع عينيه ورآني غلبه التأثر ... تمالكت نفسي ورحت أضحك معه وأداعبه وأخفف عنه.

قلت له: مالك يا أبونا؟ السجن للرجال ... وإحنا كما ترى .. الحال كما هو عليه ... السجن لم يغير شعرة ... دي بركة من ربنا ... فابتسم وبصعوبة قال: أنت أحسن من قبل السجن. أبونا لوقا هو أبونا لوقا ... عادت إليه ابتسامته المشرقة وعدنا إلى الهدوء، وقرأنا في الإنجيل وصلينا ... ونزلت من منزله وأنا أمجد الله الذي جعل في هذا الجسد المنهك بالمرض روحًا وثابة. وإن آلام الكنيسة عند هذا البار صارت محسوسة أكثر من آلام جسده المريض.

تأخرت حالته وتدهورت صحته أكثر وسمع البابا شنوده وكان أبونا مينا محبوبًا عنده، فأبدى البابا رغبته في زيارة أبونا مينا،

وكنا في صحبته يوم أن زاره.

كم تأثر البابا إذ رآه جالسًا على الكرسي فاقدًا الحراك ... يومها جلس البابا صامتًا من التأثر، فبادرت بالكلام مع أبونا مينا بحسب عادتنا حينما كنت أداعبه، فابتسم الرجل ابتسامة اللطيفة، وقال شوف يا سيدنا ... فقال البابا مالك بيه؟ قلت يا سيدنا أنا أحب أعاكسه. فابتسم البابا ... ثم قرأ فصلاً من الإنجيل وتكلم عن بركات المرض ...

هذه عينة نادرة، ودروسًا نافعة لكل من يريد أن ينتفع.

قيمة الوقت:

في دوامات الزحام والاهتمامات اليومية في عالم اليوم ينسى الإنسان نفسه، بل تتبعثر في كل اتجاه ... وهذه هى مشكلة العصر ... ضيق الوقت. وبينما هذه الشكوى تبدو عمومية، لكن نظل نجد وقتًا لأشياء قليلة الفائدة، عديمة القيمة، فهناك وقت لمطالعة الجرائد أو وقت للتليفزيون، ويوجد وقت للتليفون وأحيانًا يكون مجرد رغي أو حديث غير جاد، ولا يعتذر أحد بضيق الوقت في أمر اهتمامه بجسده، فهو يجد وقتًا للحمام ووقت لتسريح الشعر ولبس الثياب. جميع هذه الأفعال نجد لها وقتًا أما عمل الصلاة ومراجعة النفس والتوبة فعذر الوقت دائمًا قائم.

تُرى متى ندرك قيمة الزمن، وأن اليوم يوم خلاص وأن الوقت وقت مقبول ... وفي مراجعة بسيطة للحياة، ترى كم من الأوقات

والأيام والسنين راحت سُدى؟ عبرت بلا عائد وبلا ثمر؟

لست أريد أن نندم على ما فات بقدر ما نصحو لِمَا بين أيدينا وما تبقّى لنا من زمن لعلّنا نثمر لله، ولعلنا ننتهز الفرصة ونفتدي الوقت قبل أن يعبر.

أذكر أن أبونا بيشوى بعدما عاد من لندن، وكانت قد أُجريت له عملية استئصال ورم ملتصق بالنخاع الشوكي وكان قد وصل إلى مراحل الخطر والآلام المبرحة قبل العملية، فلما عاد شبه معاف، حضر الآباء كهنة الإسكندرية إلى كنيستنا في سبورتنج فجلس معهم وهم في غاية السرور إذ رأوه هكذا وسأله أحد الآباء عن اختبار المرض وما تحصّل عليه من الفائدة الروحية، فجاوبه بكل اتضاع وقال: علمت حقًا قيمة الوقت الذي نضيعه سُدى ونحن في أشد الحاجة إلى استثماره، لأنه في الساعات التي اقتربت فيها من الموت كان الألم يضغطني حتى لا أستطيع التركيز في الصلاة ... وكنت أقول صلاة العشار "ارحمني أنا الخاطي" وكنت أتوسل إلى الله أن يعطيني وقتًا لأتوب فيه.

كم كانت هذه الكلمات مؤثرة لأنها وضعتنا أمام الحقيقة التي لا بد أن نواجهها بجدية ... حقاً ما أحوجنا إلى أن نكون صادقين مع أنفسنا عالمين أن الوقت منذ الآن مُقصِر والأيام شريرة.

السلوك المسيحي:

أورد القديس بولس في معرض رسالته إلى أهل فيلبي أنه مزمع

أن يرسل إليهم أبفرودتس وهو شريك القديس في خدمة يسوع المسيح وصبره ... وقد كان قد تألم من أجل الرب كثيرًا... وكان قد مرض مشرفًا على الموت، ولكن بصلوات الكنيسة والقديس بولس الرسول عوفيَ من مرضه ... فرأى القديس بولس أن يرسله إلى أهل فيلبي ليعزي قلوبهم بكلمة الله المكتوبة في الرسالة إليهم ... اسمع ما سجَّله الوحي الإلهي: "**أرسل إليكم أبفرودتس أخي، والعامل معي، والمُتَجَنِّد معي، ورسولكم، والخادم لحاجتي. إذ كان مشتاقًا إلى جميعكم ومغمومًا، لأنكم سمعتم أنه كان مريضًا. فإنه مرض قريبًا من الموت، لكن اللَّه رَحِمَهُ. وليس إياه وحده بل إياي أيضًا لئلا يكون لي حُزنٌ على حُزنٍ**" (في ٢ : ٢٥ – ٢٧).

اسمع وتعجب من هذه المشاعر الرقيقة التي نبعت من الإيمان المسيحي العملي، كيف أنه اغتم حين علم أن أهل فيلبي علموا أنه كان مريضًا ... كان يود ألا يعلموا شيئًا عن مرضه ومعاناته! فلماذا يثقل عليهم أو يسبب لهم أحزانًا؟

إنه يود أن يبذل ويعطي، يُنفِق ويُنفَق، ولكن أن تتعب الرعية بسبب مرضه الشخصي أو أن يحملوا همه أو يحزنوا بسببه فهذا سبب له غمًا وحزنًا ... شيء عجيب حقًا. تأمل معي وتعجب من سلوكنا الذي صار عكس ذلك تمامًا.

فالواحد منا يتعب حين لا يجامله الإخوة في مرضه! وربما يحصل خصام ومشاحنات ويعتبر هذا من أخص الواجبات نحوه

أن يشاركوه في وجعه ويواسوه في محنة المرض وإلا يصيروا مقصرّين وقد يعاتبهم.

عجبي على السلوك الرسولي الذي يحب البذل ويرفض الكرامة ... يحزن إذا علم الإخوة بمرضه أو تألموا لأجله. وقد تقابل هذا التصرف المسيحي من الكنيسة في فيلبي بسلوك مسيحي إيماني من الجماعة المقدسة ... إذ صارت صلوات حارة من نحوه، كما كانت صلوات حارة من أجل القديس بطرس وهو في السجن ومن أجل جميع الرسل وهم في التجارب ... إنه ارتباط روحي متبادل ... فالخادم عازف عن أن يُسدَى إليه شيئًا من المعروف والمخدومون مستعدون أن يضعوا نفوسهم من أجل الخادم حتى شهد القديس بولس الرسول عن أهل غلاطية أنهم ودوا لو قلعوا عيونهم وأعطوها له.

أنظر أيضًا وتعجب على القديس بولس الرسول، صاحب شهوة الانطلاق إلى السماء ... كيف يقول إن الله رحمه بشفاء أبفرودتس لكي لا يكون له حزن على حزن! فمرض القديس بولس الشخصي هيّن أما مرض أخيه وشريكه فأمر يصلي من أجله ويلح على الله حتى يشفيه، وحين يشفى يطفر قلب بولس بالفرح فنفسه غير مكرّمة عنده، أما نفوس الآخرين فهى غالية.

على هذا المنوال كان الحب الروحي المتبادل هو سمة المسيحيين والمشاعر العالية الخالية من الأنانية كانت الصفة العملية الظاهرة في كل أنحاء الكنيسة ... إنه سلوك مسيحي

روحي يجب أن نتبعه ونرسم هذه الخطوات في حياتنا.

لعازر المسكين:

في المثل الذي قاله الرب عن الغني ولعازر المسكين المضروب بالقروح في جسده الذي كانت الكلاب تلحس قروحه ... عندما خلت قلوب البشر إخوته من عمل الرحمة وهم ينظرون إليه وأقربهم الغني الذي كان يمر به إذ كان لعازر مطروحًا عند بابه.. في ذلك المثل قال إبراهيم أبو الآباء للغني حين توسل إليه وهو معذب في الجحيم ... قال إبراهيم: **"اذكر أنك استوفيت خَيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزَّى وأنت تتعذَّب"** (**لو ١٦ : ٢٥**).

هذا يذكرني بما رأته إحدى القديسات وكانت مصابة بأمراض كثيرة وخطيرة ... قد رأت في رؤيا وكأن ملاكًا نازلاً من السماء ممسكًا بإكليلين في كلتا يديه إكليل مجد وبهاء، وإكليل شوك ... وقال لها الملاك كلا الإكليلين لكِ ... واحد في السماء والآخر على الأرض ... فقالت له: أعطني إكليل الشوك هنا على الأرض.

كأننا بأمراضنا نستوفي البلايا والأحزان هنا ... نتألم هنا لنتمجد معه هناك ... نبكي هنا لنفرح معه هناك ... نشترك هنا معه في إكليل شوكه فنكلل هناك بإكليل مجده.

صبر أيـوب:

إن قصة أيوب البار تحمل لنا أعظم معاني الاحتمال والشكر ثم عاقبة الرب ومكافأته. لم تكن أوجاع أيوب التي جازها سواء الأوجاع النفسية بسبب فقدان البنين وخسارة الممتلكات دفعة واحدة أو أوجاع الجسد بما أصابه الشيطان من أمراض من هامة الرأس إلى أخمص القدم ... لم تكن هذه الأوجاع بسبب خطاياه أو تعدياته أو آثامه ... إذ قد شهد الله عنه أنه رجل بار وكامل يتقي الله ويحيد عن الشر ... بل كانت شكوى عدو الخير المشتكي على جنسنا ... وكان الشيطان يوّد لو يؤذي عقل أيوب فيختل، ولكن الله حفظ نفس أيوب من أن يمسها العدو الشرير.

وقد قال أيوب عبارته الشهيرة جدًا: "**الرب أعطَى والرب أخذ، فليَكُن اسم الرب مباركًا**" (أي ١ : ٢١).

والقديس يعقوب يقول: "**قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب**" فإن كانت قد بلغت قصة صبر أيوب على الضيقات إلى مسامعنا، وكيف أن الرب بارك آخرة أيوب أكثر من أولاه ... وكيف أن أيوب قال للرب في نهاية التجربة " **بسمع الأُذن قد سَمِعت عنك، والآن رأتك عيني** " (أي ٤٢ : ٥).

فالآن صار كل هذا منهجًا للسلوك وليس قصة للتسلية. هذا هو سلوك الأبرار من جهة الصبر والاحتمال والصلاح في التجربة ومن جهة الضربات التي قد يُصاب بها حتى القديسين "**كثيرة هى**

أحـزان الصـديقين" ... أما من جهـة عاقبـة الـرب والختـام السعيد فهذا وعد الـرب الـذي لا يخيـب: **"ومــن جميعهــا ينجــيهم الــرب"**. الصديقون صرخوا والرب استجاب لهم ومن جميع مخاوفهم نجاهم.

فلنثبـت نظرنـا فـي ذاك الـذي حمـل أوجاعنـا وأمراضـنا، الـذي يبارك آخرتنا ويختم علينا بالبركة.

مرض حزقيـا:

لعلّك أيها الحبيب تذكر قصة حزقيا ملك يهوذا، حين قال لـه الرب: **"أوصِ بيتك لأنك تموت"**، فحوّل وجهه إلى الحائط وبكى أمـام الله بالصــلاة والاتضــاع متوســلاً فسـمع الـرب صـلاته وقبـل دموعه وأرسل إليه إشعياء النبي وأعلمه أن الرب أضـاف إلـى عمره خمسة عشر سنة.

وقد حسب هذا إحسانًا عظيمًا من الله لأن في العهد القديم كان طـول الأيـام يعـد مـن أعظـم البركـات التــي يمنحهـا الله لخائفيـه وحافظي وصاياه.

وكان أبونـا بيشوي كامل عندما نتذكر هذا يقول إنـه بالتجسد أضـاف الله إلـى أعمارنـا المحدودة أبديتـه التـي لا نهايـة لهـا ولـيس مجرد سنين نحياها على الأرض ... فقد صار لنا بالمسيح خلودًا أبديًا.

أُنظر كيف تحول الفكر من طلب سنين في الجسد إلى طلب ملكوت الله كقول القديس بـولس الرسـول لأهـل فيلبـي الـذين كـانوا

يشتهون أن يعيش القديس بولس أطول ما يمكن في الجسد ... أما هو فكان يقول: **"لي اشتهاءٌ أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًا. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم"** (في ١ : ٢٤).

المرض والمجهول:

لمَّا مرض أحد ملوك بني إسرائيل أرسل رُسلاً سرًا وفي الخفاء ليسألوا بعل زبوب إله عقرون - أحد آلهة الوثنيين - فصادفهما إيليا النبي وقال لهم: **"أليس لأنه لا يوجد في إسرائيل إله، تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون؟ فلذلك هكذا قال الرب: إن السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتًا تموت"** (٢ مل ١ : ٣ – ٤). فقد كانوا في القديم يذهبون إمَّا إلى الكهنة أو العرَّافين أو المُنجِّمين أو أصحاب التوابع أو السحرة ليعرفوا ماذا يخبئ المرض. لقد كان المرض وما بعده أمرًا مجهولاً، والمجهول دائمًا يكوّن خوفًا ورعبًا للإنسان.

لذلك التجأ الناس إلى أولئك الذين ظنوا أنهم يعرفون الغيب ويعرفون المستقبل ... وليس ذلك في الماضي فقط وحتى في أيامنا الحاضرة يلجأ بعض الناس إلى تلك الأمور.

ولكن من أجل إيماننا في المسيح الذي أنار لنا الحياة والخلود، فمرض الجسد صار أمره معروفًا محدودًا ولم يعد شيئاً غامضاً أو مجهولاً في حياة أولاد الله ... ففي إطار إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة يحدث لنا كل ما هو خير وكل ما يؤول لخلاصنا

... ونحن إن كنا الآن ننظر كما في مرآة وكما في لغز ولكن يقيننا في المسيح أننا حينما نخلع خيمة هذا الجسد سنراه وجهًا لوجه وسنراه كما هو وسنعرفه كما عُرِفنا منه.

فأين المجهول؟ قد انتفى وجوده. وأين الخوف؟ قد استبدل بسلام المسيح نفسه **"أنا هو لا تخافوا ... سلامي أترك لكم"**.

شفاعة القديسين في المرضى:

من النعم التي لا يُعبَّر عنها، رفقة القديسين ومصاحبتهم لنا على مدى الحياة كسحابة شهود محيطة بنا ... نطلب شفاعتهم المقبولة لدى مخلصنا وهم كأعضاء مكرمة في جسد المسيح الواحد لا يكفوا عن السؤال من أجلنا حتى يكمل خلاصنا. وهم مؤازرون لنا بالقوات التي يصنعها الرب بهم ... فحين كانوا معنا على الأرض كان الرب يتمجد بهم وفيهم لشفاء أمراض، وسد إعواز، ولإقالة عثرة الضعفاء ... فظل بطرس الرسول كان يشفي الأمراض، ومناديل وعصائب بولس الرسول كانت تشفي الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة.

وقد ائتمن الرب قديسيه على عمل آيات وعجائب وأشفيه لا تقع تحت حصر، إذ أن هذه الآيات تتبع المؤمنين، ولم يقصر الرب هذا الأمر على زمن ما، بل طالما وُجِدَ مؤمنون في أي زمان وأي مكان فالآيات تابعة ومستمرة وعمل الروح القدس في

الكنيسة لم يتوقف على مدى تاريخها الممتد خلال العشرين قرنًا، بل في كل زمان زخرت الكنيسة بقديسين وأعمالهم في شفاء المرضى وصُنع الآيات شيء يبهر العقول. ولكن لا تقتصر علاقتنا بالقديسين، على أنهم صانعو آيات وأشفيه، نحن نقترب إليهم نتشفع بهم من أجل منفعة أجسادنا أو سد إعوازنا واحتياجاتنا الزمنية أو للخروج من مآزق الزمن ومصائبه (حاشا) فهذا فكر مادي منحصر فيما للتراب.

عشرة القديسين تعني فرح في الروح، وسلام في القلب، ومؤازرة للصلاة وهى مشجعة على الفضيلة وسند في الأصوام ومحببة للعطاء أكثر من الأخذ.

فإن كانت حياة القديسين قد ازدانت بالفضائل، وتكملت في الإيمان، فهم لنا كعلامات على الطريق ... فإن أحببناهم بالحقيقة في الروح نتمثل بإيمانهم ونحب سيرتهم الطاهرة، ونسعى لعلنا ندرك الذي من أجله أدركنا المسيح.

وفي حال أمراضنا نجد هذه السحابة، وقد أحاطت بنا في صورتها الأكثر بهاءً، لأننا نحتاج إلى هذا السند الحقيقي إذا ضعفت أجسادنا.

كنت أزور مُسنّة، عاشت حياتها في تقوى حقيقية، وحياة مسيحية بسيطة، وكانت في أمراض شيخوختها مشرقة الوجه، ممتلئة من النعمة، وكانت تقول لي في بساطة عجيبة: أنا زعلانة منهم ... وكنت أقول لها: من هم؟ فكانت تذكر القديسين

أحباءها... القديسة كلية الطهر العذراء مريم، والشهيد الكريم مارمرقس الإنجيلي، وحبيبها مارجرجس شفيع بلدتها برما، والقديس أبي سيفين، والقديسة دميانة ... وكنت أتباسط معها قائلاً: زعلانة منهم إزاي! فتجيب: أيوه زعلانة منهم لأنهم مش بيسألوا فيّ ولا بيزوروني، ولا يمدوا أيدهم عليّ.

بساطة وإيمان وعشم في القديسين الذين عاشت تكرمهم وتقدسهم، وتتشفع بهم.

ما أجمل ما نصليه في صلوات الغروب سائلين العذراء القديسة "عند مفارقة نفسي من جسدي، احضري عندي"، لكي تكون سندنا وشفيعتنا في ساعاتنا الأخيرة، وتسد عنا أفواه الأسود كما سدها ملاك الرب عن عبده دانيال في جب الأسود.

عند صليب يسوع:

إن القديس يوحنا الإنجيلي الحبيب يذكر بالتخصيص الذين وقفوا إلى جوار صليب الرب في يوم الصلبوت قائلاً: "**كانت واقفاتٍ عند صليب يسوع، أُمُّهُ، وأُخت أُمِّهِ ...**" (**يو ١٩ : ٢٥**).

فالعذراء القديسة صارت ملازمة لصليب يسوع حيثما وُجِدَ وأينما يوجد. تجدها هناك واقفة، فكل من يحمل الصليب يجد الأم العذراء والدة الإله واقفة تسند وتعزي وتشفع وتقوي حتى النهاية... كم آزرت القديسين، وسندت الشهداء في شدتهم.

في قصة استشهاد القديس سيدهم بشاي، قال وهو يحتضر: "يا بني هات الكرسي للست دي علشان ترتاح لأنها تعبت معي كثيرًا اليوم".

لذلك كان أبونا بيشوي يضع أيقونتها أمامه وهو راقد على سرير مرضه يتطلَّع إليها بنظرة البنين وهى ترنو إليه بحنو الأم ناظرة إليه من المساكن العلوية كما نقول في التسبحة.

إنها خبرة واقعية حقيقية، فهى أمنا الحنون وهى مؤازرة لخلاصنا بشفاعتها المقبولة لدى مخلصنا.

✠ أتذكر أنني كنت أزور صاحب الذكرى العطرة المتنيح البابا كيرلس السادس، وهو في أثناء مرضه ... وكان يومها راقدًا على سريره الفقير لابسًا ثيابًا بسيطة وكان مصابًا بجلطة في ساقه، فانحنيت أُقبِّله وكنت متأثرًا، فطيّب خاطري في كلماته البسيطة قائلاً: "مالك يا بني ... نشكر الله. كل شيء كويس ... هم الدكاترة قالوا أنني لا أتحرك لفترة ... لكن أحنا مستنيين حد من القديسين يكون معدي يدينا بركته وكل شيء يبقى على ما يرام".

فتعلمت كيف تكون الثقة في القديسين والتطلُّع إليهم في أوقات المرض ... كانت هى شغله الشاغل رغم أنه كان يخضع لتعليمات الأطباء.

ثبات القديسين:

ما أجمل ثبات القديسين في مواجهة الضيقات والأمراض، فقد قيل عن الرجل الخائف الرب في المزمور: **"لا يخشى من خبر سوءٍ. قلبه ثابتٌ متَّكلاً على الرب"** (مز ١١٢ : ٧).

فقد سمعنا عن شجاعة الشهداء الأبرار وثباتهم في مواجهة الآلام حتى الموت، وسمعنا قول القديس بولس الرسول في العبرانيين عن أولئك الذين لم يقبلوا النجاة، إذ كانوا ينظرون إلى القيامة الأفضل. وتعلمنا أن المحكّات هى التي تُظهر أصل المعادن، فليس كل ما يلمع ذهبًا ... فإن خُدشت المعادن يظهر ما هو طبيعتها، فإن كان ما يلمع هو مجرد طلاء خارجي ظهر الأمر عند أول خدش ... فكم من أشخاص كان لهم مظهر القوة ومظهر التقوى فلما اختُبِروا باختبار الروح، انكشف عوار تدبيرهم فاهتزت صورتهم.

✠ لا أنسى يوم كنت مرافقًا لأبينا بيشوي كامل في مستشفى في لندن، يوم أن اكتشف الطبيب الورم السرطاني ملتصقًا بالنخاع الشوكي، وانه يمكن أن يعمل له جراحة. ولكن احتمال نجاح العملية ضئيل جدًا وأنه ممكن يموت أثناء الجراحة، وإن تركه من غير جراحة فإنه يموت خلال أيام ... فكأن الطب كان ينطق على أبونا بحكم الموت سواء عمل الجراحة أو لم يعملها. وكان أبونا في تلك اللحظات مضغوطًا بآلام رهيبة وكان يتحمل على نفسه وهو يستمع لهذه الكلمات المخيفة، وكان عليه أن يقرر بنفسه ماذا يريد؟ وكلا الاختيارين صعب، أن يقبل عمل العملية وقد يموت

أثنائها، أو يرفض عمل العملية ويستسلم للموت بعد أيام!

وفي ضغطة الآلام هذه قال للطبيب أن يُجري العملية ... وبعد أن خرج الطبيب من الحجرة ... أصابنا ذهول من هول الكلام الذي سمعناه، لم يكن سوى تاسوني أنجيل وأنا بالكاد استطعت أن أضبط دموعي، بينما انخرطت تاسوني أنجيل في البكاء ... فقال لها أبونا: "إحنا بس عمّالين نوعظ الناس ... المفروض نبطّل وعظ".

وإذ خرجت تاسوني أنجيل من الحجرة قال لي والآلام تعتصره: يا أبونا يجب أن نقبل كل شيء من يد المسيح لأننا خدامه ... إحنا خدامينه وتحت أمره.

وأنا أشهد أمام الله أنني رأيت فيه قمة الثبات فلم يهتز ولا إلى لحظة ... فرغم آلام الموت، إلا أن ثقته في المسيح مُخلِّصه كانت أقوى من الآلام وأقوى من الموت.

قوة المحبة الأخوية:

رفض القديسان بولس وبرنابا مجد الناس في مدينة لسترة ومزقا ثيابهما وبالجهد كفّ الجمع من أن يذبحوا لهما، إذ حسبوهما آلهة ... بعدها جاء بعض اليهود وأفسدوا ذهن الشعب وهيّجوهم فرجموا بولس الرسول حتى أشرف على الموت مطروحًا على باب المدينة، وظن أهل المدينة أنه قد مات فعلاً .. ولكن سفر الأعمال يذكر

أمرًا غاية في العجب ويقول: "ولكن إذ أحاط به التلاميذ قام".

هذا هو سر الكنيسة العجيبة في مؤازرة المحبة والصلاة ... فالكنيسة تقوِّم الأيادي المسترخية والرُّكب المُخلّعة، تشدد الضعيف وتقيم الساقط، ونحن نختبر هذا على نحو ما، عندما نحاط في مرضنا بالأحباء يفتقدوننا ويصلون عنا ويحوطوننا بالمحبة الغالية والمشاعر الروحية ... نشعر أن أرواحنا تتشدد لأنه قيل عن القديس بولس الرسول في موضع آخر وهو في أسره الأخير قادمًا إلى روما ليُحاكَم، قيل أنه لما رأى الأخوة شكر الله وتشجع.

إننا أعضاء بعضنا لبعض وإن تألم عضو تألمت له سائر الأعضاء ... هذه حقيقة ملموسة.

ونحن نشكر الله كثيرًا من أجل الذين يعتنون بنا في حال مرضنا ونقبل هذا من يد المسيح الذي يعمل في القلوب حنانًا ولطفًا وانعامات كثيرة.

أذكر واحدة من السيدات الأبرار التي تأثرت بها كثيرًا وكانت إلى قبل نياحتها بسنوات معدودة قليلة المعرفة بالحياة الروحية، قليلة التردد على الكنيسة ... فلمَّا لمست النعمة قلبها كانت مشتعلة بحب المسيح فاديها وعطشانة لترتوي بكل ما هو روحي فكانت كمن يركض لينال ما فاته، وكانت نفسها نشيطة تطلب أن تُعَوَض عن السنين التي أكلها الجراد.

وفي وقت قصير كانت قد بلغت قامة روحية عالية جدًا ... ثم أصيبت بسرطان قاتل ولكنها احتملته بشكر وصبر وقلة الكلام

كأنها تتألم في سر ... شيء عجيب، نفس مرهفة نقية استحقت أن تكون عروسًا للمسيح.

وقد لازمتها في أيام أوجاعها أخت فاضلة، سيدة تقية، لم تكن علاقتهما وطيدة من البداية، ولكن النعمة والمحبة المسيحية والخدمة الباذلة كانت هى من سِمات هذه العلاقة ... وقد ظلت هذه الأخت تلازمها لعدة شهور حتى آخر نسمة من حياتها.

كانت قليلة الكلام ... فكانوا يقضون معظم الوقت في الصلاة الصامتة النابعة من القلب. وكانت تقول لي عندما أزورها، لقد رأيت المسيح بكل جلاء ووضوح في أختي هذه ... هذه هى المسيحية الحقيقية.

وعندما زرتها لآخر مرة قبل نياحتها بيوم قالت لي: وصيتي لك هى الأخت فلانة ... قلت لها مداعبًا: وماذا تعطني؟ قالت بثقة سأصلي لك في السماء. قلت لها: اتفقنا.

أدركت في هذا مقدار المحبة المسيحية ... كيف إذ أحاط التلاميذ بالقديس بولس قام، إذ تقوت روحه فغلبت وجع الجسد وشددت ضعفه.

هكذا تكون زيارة الأحباء وخدمتهم إن كانت روحية واعية .. لأن في كثير من الأحيان تكون الزيارات عبئًا بالأكثر، ومضيعة للوقت، وتشتيت للذهن وتعطيل عن الصلاة.

لذلك أرجو أن تحرص على أن تكون كل أوقاتك في الروح،

وكل علاقاتك بالناس في المسيح، فيك وفيهم "لأننا لم نعزم أن نعرف شيئًا بينكم سوى المسيح وإياه مصلوبًا".

أبعث إليك بكل مشاعر المحبة الروحية، راجيًا لك سلامًا ونعمة وصحة الجسد والروح.

كُنْ معاف بِاسم الثالوث القدوس